إعجاز القرآن الكريم وتفسيره بين الاتجاه العلمي وأسلمة المعرفة

د. حسام الدين مخلوف

جامعة الوادي-الجزائر

makhlouf-houssemeddine@univ-eloued.dz

ملخص البحث:

إنَّ القرآن الكريم حافل بالإشارات العلمية التي تعتبر شكلًا من أشكال التحدّي الذي بلَّغه النبيُّ الأميُّ صلَّى الله عليه وسلَّم عن ربِّ العزَّة والجلال، فهو يحوي من حقائق هذا الكون ما لم يستطع العلم إدراكه إلا مؤخرًا، وإذا ما وافقت الحقائق العلمية الحديثة صارت إعجازًا يشهد على صحَّة مصدريَّة القرآن العظيم ونبوَّة رسوله الكريم، وعلى الرَّغم من أنَّ الوحي القرآني المعجز من أهم مصادر المعرفة التي عرفها الإنسان -لتطرّقه لمختلف أبواب العلوم- غير أنه لم ينل حظه من الانطلاق منه في إنتاج العلم التجريبي وتحقيق المنهج العلمي من المنظور القرآني ابتداءً، في حين أنَّ جهود العلماء في الكشف عن التطابق والتوافق والتكامل بين علوم العصر الحديث وإشارات القرآن الكريم لا تزال جاريةً ومتتابعةً كلَّما استجدَّت النظريَّات وتحقَّقت، ومن هنا جاءت هذه الدراسة التأصيلية التحليلية لتحاول إبراز مصادر المعرفة ومنهجيتها بنظرة إسلامية متكاملة، ولترصد الاختلاف الجوهريّ بين التفسير العلميّ للقرآن الكريم وإعجازه العلميّ، فالتفسيرُ العلميُّ هو استخدام مكتشفات العلم التجريبيّ في بيان معاني الآيات القرآنية ودلالاتها، في حين أنَّ الإعجاز العلميّ هو استخدام مخرجات التفسير العلميّ ونتائجه في إثبات صدق النُّبوَّة وصحَّة مصدريَّة القرآن الكريم، وقد تمَّ ذلك من خلال مبحثين، تناول المبحث الأول الإطار النظريّ للدراسة والمتمثّل في مصادر المعرفة

ومنهجيّتها، وجاء في المبحث الثاني تفصيل مسألة الإعجاز العلميّ وضوابطه، والتفسير العلميّ للقرآن الكريم وأسسه، واختتمت الدراسة بذكر أهم النتائج والتوصيات.

كلمات مفتاحية: القرآن، الإعجاز، التفسير، العلم، أسلمة المعرفة.

Abstract

The Holy Quran is full of scientific references that are considered a form of challenge that the illiterate Prophet, may God bless him and grant him peace, conveyed from the Lord of Glory and Majesty. It contains facts of this universe that science has not been able to comprehend until recently. If they agree with modern scientific facts, they become a miracle that testifies to the authenticity of the source of the Great Quran and the prophethood of its noble Messenger. Despite the fact that the miraculous Quranic revelation is one of the most important sources of knowledge known to man - due to its coverage of various branches of science - it has not received its share of starting from it in producing experimental science and achieving the scientific method from the Quranic perspective from the beginning, while the efforts of scientists to discover the compatibility, agreement and integration between the sciences of the modern era and the references of the Holy Quran are still ongoing and continuous whenever theories emerge and are realized. Hence, this original analytical study came to try to highlight the sources of knowledge and its methodology with an integrated Islamic perspective, and to monitor the fundamental difference between the scientific interpretation of the Holy Quran And its scientific miracle, as scientific interpretation is the use of the discoveries of experimental science in explaining the meanings and implications of the Qur'anic verses, while the scientific miracle is the use of the outputs of scientific interpretation and its results in proving the truth of prophecy and the validity of the source of the Holy Qur'an, and this was done through two chapters, the first chapter dealt with the theoretical framework of the study represented in the sources of knowledge and its methodology, and the second chapter came in detail the issue of scientific miracle and its controls, and the scientific interpretation of the Holy Qur'an and its foundations, and the study concluded by mentioning the most important results and recommendations.

Keywords: Quran, Miracle, Interpretation, Science, Islamization of knowledge.

مقدمة:

إنَّ العلاقة بين آيات الحقّ في القرآن والكون تجمع في ترابط محكم بين إعجاز السبق والبيان في كتاب الإسلام الخالد، وإعجاز القدرة الإلهية في كتاب الكون اللّانهائي، ليدلي كلّ إعجاز بشهادة تسليم وتصديق للآخر، وليكون في الإعجازين عبرة لكل ذي عقل رشيد، أو لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فكما أنّ الأدلة القاطعة برهنت على أنّ القرآن الكريم لا يمكن إلا أن يكون من عند الله الواحد الأحد، بدليل عدم الاختلاف بين آياته، كذلك فإنّ النظام الكوني المعجز لكلّ ما فيه من تدبير وإحكام لا يمكن إلا أن يكون من صنع الله الذي أتقن كلّ شيء، والذي أوحي به إلى نبيّ أميّ في أمّة أمّيّة، قبل أربعة عشر قرنًا يحوي من حقائق هذا الكون ما لم يتمكّن الإنسان من الوصول إليه إلا منذ عقود قليلة، وهذا ما لا يمكن تصوّر إمكانية حدوثه إلا بوحي من الله الخالق البارئ المصور. وإنَّ رصد مثل هذه العلاقات بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي وبيانها في ضوء إسلامية المعرفة وتكامل العلوم لكفيل بأن يُزيل الكثير من الأخطاء المنهجية، والإجابة عن الكثير من التساؤلات والإشكالات العلمية، خاصة إذا ما أردفنا بعد ذلك بذكر أهمّ الأسس والضوابط التي ينبغي استحضارها في هذا المجال، ومن ذلك –مثلا– أنَّ التفسير العلميّ ليس مرادفًا للإعجاز العلمي ومطابقًا له، كما أنهما ليسا منفصلين ومتباينين، فبينهما عموم وخصوص، إذ أنَّ الإعجاز العلميّ لا سبيل إلى معرفته إلا من خلال التفسير العلميّ، كما أنه ليس كلّ تفسير علميّ قابلًا لأن يكون إعجازًا علميًّا تقوم به الحجّة على غير المسلمين، وكمثل أنَّ التفسير العلميّ وسيلة لغاية هي الإعجاز العلمي، وهذا ما سيسعى هذا البحث إلى تأصيله وتفصيله بإذن الله تعالى على النحو الآتي:

المبحث الأول: مصادر المعرفة ومنهجيّتها:

المطلب الأول: تعريفات وفروقات:

بالرجوع إلى آيات القرآن الكريم التي وردت فيها كلمة "المعرفة" وكلمة "العلم" أو مشـــتقاتهما، وبعد النظر في المعاجم واستقراء التعريفات الكثيرة والمتباينة التي وردت في تعريفهما فيمكن أن نخلص إلى ما يلي:

- **العلم والمعرفة لغة:** هما مرادفان للفهم والجزم والإدراك، وكلاهما ضدّ الجهل.
- **المعرفة اصطلاحا:** هي كل اعتقاد جازم سواء طابق الواقع أم لم يطابقه.
- **العلم اصطلاحا:** هو إدراك الشيء على حقيقته إدراكًا جازمًا[1].

وأمَّا التعريف الخاص للعلم فيختلف باختلاف معرّفيه تبعًا لمجال تخصصاتهم، فأهل التدوين يرون أنَّ العلم هو مجموعة المسائل المنضبطة بجهة واحدة في موضوعها أو غايتها، ويرى الفلاسفة أنَّ العلم هو صورة

[1] الزرقاني، مناهل العرفان، ج1، ص5.

الشيء الحاصلة في الذهن، ويرى المتكلمون أنه صفة يتجلَّى بها الأمر لمن قامت به، ويقصر الماديون العلم على حصول اليقينيات المستندة إلى الحسّ –فيُخرجون الغيبيات وما لا تقع عليه الحواس عن مسمّى العلم–، ويرى علماء الشريعة أنَّ العلم ما تضمَّن العلم بالله تعالى وآياته وأفعاله في خلقه وأوامره ونواهيه[2].

- **الفرق بين العلم والمعرفة:**

نجد من العلماء من لا يفرّق بين العلم والمعرفة، فُيطلقون أحدهما على الآخر، ومن ذلك:

- قول الرازي: "وعلِم الشيء بالكسر، يعلمه علمًا: عرفه"[3].
- وقول ابن منظور: "العلم: ضد الجهل... وعلمتُ الشيء بمعنى: عرفتُه وخبرتُه، وفي التنزيل: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال:60] "[4].

كما نجد من يفرّق بين العلم والمعرفة، ويذكر بعض الفروقات التالية:

- "المعرفة متوجّهة إلى ذات المسمّى، والعلم متوجّه إلى أحوال المسمّى، فإذا قلتَ: عرفتُ زيدًا، فالمراد شخصه، وإذا قلتَ: علمتُ زيدًا، فالمراد به العلم بأحواله من فضل ونقص، فعلى الأول يتعدَّى الفعل إلى مفعول واحد، وهو قول سيبويه: علمتم بمعنى عرفتم، وعلى الثاني إلى مفعولين، وحكى الأخفش ولقد علمتُ زيدًا، ولم أكن أعلمه"[5].
- "المعرفة إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل، بخلاف العلم، ولذلك يسمّى الحق تعالى بالعالم دون العارف"[6].
- "المعرفة أخصّ من العلم؛ لأنها علم بعين الشيء مفصّلًا عمّا سواه، والعلم يكون مجملًا ومفصّلاً، والمعرفة: تُقال للإدراك المسبوق بالعدم، ولثاني الإدراكين إذا تخلّلهما عدم، والإدراك الجزئيّ، والإدراك البسيط. والعلم: يُقال لحصول صورة الشّيء عند العقل، وللاعتقاد الجازم المطابق الثّابت، ولإدراك الكلّيّ، ولإدراك المركّب"[7].
- "المعرفة تُقال فيما تُدرك آثاره، وإن لم تُدرك ذاته. والعلم لا يُقال إلّا فيما أُدرك ذاته"[8].
- والمعرفة تُقال فيما يُتوصّل إليه بتفكّر وتدبّر، والعلم قد يُقال في ذلك وفي غيره[9].

---

[2] الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص39.

[3] محمد الرازي، مختار الصحاح، ص189.

[4] ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص416.

[5] القرطبي، الجامع في أحكام القرآن، ج1، ص439.

[6] علي الجرجاني، التعريفات، ج1، ص283.

[7] أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص72–86.

[8] أبو البقاء الكفومي، الكليات، ص868.

[9] محمد المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص511.

المطلب الثاني: مصادر المعرفة:

إنَّ المصدر الأساس للمعرفة –في النموذج المعرفي الإسلامي– هو الله ﷻ، الخالق العليم، والمبدع الخبير، والمصور الحكيم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:14]؟! وقد وصف الله نفسه في كتابه الكريم بقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ﴾ [البقرة:255]، وقال: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:4–5].

وأمّا المصدران المتفرّعان عنه فهما: الكتاب المسطور: القرآن الكريم، والكتاب المنظور: الكون وما يحوي من مخلوقات.

أوّلًا: المصدر الأساس للمعرفة هو الله سبحانه وتعالى:

ذكر القرآن الكريم ثلاثة طرق للوصول إلى هذه المعرفة الموصولة مباشرة بين المصدر الأولي للمعرفة (وهو الله) وبين المتلقي لهذه المعرفة (وهو الإنسان)، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾[الشورى:51]، ولا تكون هذه المراتب إلا للأنبياء، يقول الطبري في تفسيره: "وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلّمه ربّه إلا وحيًا يوحي الله إليه كيف شاء، إمّا إلهامًا، وإمّا غيره، يقول: أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما كلّم موسى نبيّه. أو يرسل الله من ملائكته رسولًا، إمّا جبرائيل، وإمّا غيره، فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء، يعني: ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمر ونهي، وغير ذلك من الرسالة والوحي"[10].

أمّا عن الطرق الأخرى للصلة بين المصدر الأوّليّ للمعرفة ومتلقّيها، فقد أجملها ابن القيم في سبع مراتب هي[11]:

1. مرتبة التحديث، وهذه دون مرتبة الوحي الخاص.
2. مرتبة الإفهام، كما قال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[الأنبياء:78].
3. مرتبة البيان العام: وهو تبيين الحق وتمييزه من الباطل بأدلته وشواهده وأعلامه.
4. مرتبة البيان الخاص: وهو البيان المستلزم للهداية الخاصة، وهو بيان تقارنه العناية والتوفيق والاجتباء.
5. مرتبة الإسماع والعقل: التي يقول عنها الله سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال:23].

---

[10] أبو جعفر الطبري، جامع البيان، ج20، ص540.

[11] ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج1، ص37–50.

6. مرتبة الإلهام: قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:7-8]، وقال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم لحصير بن منذر الخزاعي لما أسلم: "قل اللّهمّ ألهمني رشدي، وقني شرّ نفسي"[12].
7. الرؤيا الصادقة: وهي من أجزاء النّبوّة كما ثبت عن النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنه قال: "الرؤيا الصّادقة الصّالحة جزء من ستة وسبعين جزءً من النّبوّة"[13].

ثانيًا: كلام الله تعالى "الكتاب المسطور":

فالقرآن الكريم هو مصدر المعرفة الأوّل المتفرّع عن المصدر الأساس؛ وذلك لأنه صفة من صفات الله تعالى-، فالوحي القرآني من أهمّ مصادر المعرفة التي عرفها تأريخ الإنسان، خاصة وأنه قد تطرّق إلى مختلف أبواب المعرفة وبعض أصولها وقواعدها، سواء الفكرية أو العلمية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو غيرها، فالقرآن الكريم هو كتاب صلة الإنسان بالله تعالى، ومن ثَمَّ بالكون وأخيه الإنسان، ولهذا يضبط كثيرًا من تصرفاته في عالم المعرفة وعالم الشهادة والموقف الاجتماعي وسائر شؤون الحياة الدينية والدنيوية.

كما أنَّ القرآن الكريم مصدر علم الخبر عن عالم الغيب، وقد نزَّه الله تعالى نبيّه صلَّى الله عليه وسلّم عن النّطق بالهوى، أو أن يقول شيئًا من عند نفسه في أمر الدّين أو في الغيبيات، فقد جاء في مطلع سورة النجم قوله سبحانه: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم:1-4][14].

ثالثًا: خلق الله تعالى "الكتاب المنظور":

يعتبر الكون -وما يحويه من مخلوقات- مصدر المعرفة الثاني المتفرّع عن المصدر الأساس؛ لأنه خلق من مخلوقات الله تعالى سخّره للإنسان، كما قال سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[البقرة:31-33]، فمن مصادر المعرفة الثانوية الكون المشاهد بسمائه، وأرضه، وشجره، وحجره، وجميع ما يحوي من مخلوقات. وتأتي مصدرية هذا العنصر للمعرفة من توجيه الخالق في الكتاب المسطور للتفكّر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله فيها من كتاب منظور، ووسيلة ذلك التفكر هي العقل الذي وهبه الله تعالى لخليفته في أرضه، وقد أمر الله تعالى الإنسان

---

[12] الترمذي، سنن الترمذي، ج5، ص519.

[13] الطبراني، المعجم الكبير، ج9، ص75.

[14] الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص19.

أن يســـتخدم هذا العقل، الذي أنعم به عليه فيما يعود عليه بالنفع، فيســـتخدمه في التفكّر فيما حوله من المخلوقات العظيمة، بل وفي خلق نفســـه، وهذا ما يعكس عبادة التأمّل في بديع صـــنع الله تعالى وخلقه، والتفكّر في هذا الكون وما فيه من إبداع ينطق بعظمة الخالق، ووحدانيته في ربوبيَّته، وألوهيته، وأســـمائه، وصفاته، فالكون كتاب مفتوح يُقرأ بكلّ لغة في كلّ زمان ومكان، ويُدرك بكلّ وسيلة، يطالعه أيُّ أحد فيجد فيه زادًا من الحقّ إن أراد التطلّع إلى الحقّ[15].

رابعًا: مصادر المعرفة الأخرى:

إنَّ تلقّي المعرفة المتكاملة يكون من مَصادرها المتنوعة، فلِكُلِّ معرفةٍ مصادِرُها التي تُؤْخَذ منها، ولكلِّ معرفة بشريَّة –على اختلاف فروعِها– مصادِرُها، وقد أشار القرآنَ الكريم إلى تحرّي المصادر من خلال الاستفسار من أهل المعرفة والوحي، فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنبياء:7]، وأهل الذِّكْر هم أهل التخصُّص في أيِّ جانبٍ من جوانب المعرفة، وهذا مبنِيٌّ على عموم لفظ الآية، فأهل أي فنٍّ أدْرَى من غيرهم بِمَسائله وأصوله وفروعه، فإنْ كانت المعرفة مادِّيَّة كان العَوْد إلى أهلها فيها أحقَّ من غيْرِهم، والتَّفكير في مَجالها بأدَواتِها ومناهجها[16].

وقد ذكر القرآن الكريم قصّة كليم الله موسى عليه السَّلام وهو يتعلَّم مِمَّن هو أقَلُّ منه شهرةً ومَنْزلة الْخَضِر عليه السَّلام، فقال سبحانه: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦﴾ [الكهف:66]، وذكر أنَّ ابن آدم العاقل قد يتعلَّم من الغراب غَيْر العاقل، فقال سبحانه: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾[المائدة:31]، فالمنهجيَّة العِلمية الواعية تَلْتقط الصَّواب من كلِّ أحد، ما دام حقًّا وخيْرًا، بِغَضِّ النَّظَر عن صفاتِ قائلِه، وخصائص مصدره، مع ضرورة المقدرة على التَّمييز بين الغَزْو الثقافي والتَّبادُل الْمَعرفِي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالعقْلُ الْمُسلم الواعي يسعى إلى السبق في اكتشاف المعارف، وارتياد الآفاق التي تُمكِّنه من الْمُساهَمة في التغيير الحضاري، وبهذا تكون المعرفة وفْقَ مرادِ الله تعالى، ربَّانية في المبدأ والوسيلة والغاية، وعالَميَّة في الواقع، فتنفي عنها الانْحِرافات العنصريَّة، والتقليدَ الأعمى، والتعصُّبَ للعِرْق، أو الجنس، أو التوجُّه، أو الفكر، ونافعة للبشرية شاملة لكلِّ حاجِيات الناس كافَّة في حالِهم ومعادهم[17].

وأمَّا تفاصيل علوم الدُّنيا من صناعاتٍ وزِراعات، فالقرآن يوجِّهها إلى سبيل استعمالِها في خيْرِ الناس، ولا يتدخَّل في تطوُّرِها، ولا يُحدِّد أساليبَ البحث فيها، إنَّما هو قانونٌ يوجِّه نتائِجَها، ويُكْسِبها الشَّرعية في

---

[15] انظر، حمزة حسن سليمان صالح. معالم المعرفة القرآنية والمعرفة العلمانية دراسة مقارنة.

[16] انظر، عبد الكريم بليل، أسلمة المعرفة: إعادة صياغة المصطلح، ص206.

[17] عمر عبيد حسنة، حتَّى يتحقَّق الشُّهود الحضاري، ص11.

وسائلها، ويُرْشِدها إلى الغاية الكُبْرى، غيْر أنَّه لا يتحدَّث عن كيفيتها، فذاك مُباحٌ للنَّاس؛ لذا قرَّر العلماء حتَّى في أحوال الناس الاجتماعيَّة أنَّ أعرافهم شرْعٌ مُنَزَّل ما لَم يُخالف الشَّرعَ، وشؤون دنياهم من طرق وأساليب الزِّراعة والصناعة هم أعلم بِها.

خامسًا: البعد المادي للمصادر من منظور القرآن الكريم:

إنّ مصادر المعرفة إذا كانت من منظور مادي صرف فهي لا تزيد على أن تكون مصادر شكلية لعالم المحسوسات وظواهرها المادية فحسب، ولهذا يخبرنا القرآن الكريم أنَّه إذا فُقد المصدر الأساس وما تفرّع عنه من مصادر فرعية فما ذلك إلا ظاهر الحياة الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿...وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ٨ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا...﴾ [الروم: 6-9].

ولهذا يقول أبو حامد الغزالي: "فاعلم أنما أشرنا إلى العلوم الدينية التي لابدّ من وجود أصلها في العالم حتى يتيسر سلوك طريق الله تعالى والسفر إليه، أمَّا هذه العلوم التي أشرتُ إليها فهي علوم، ولكن لا يتوقف على معرفتها صلاح المعاش والمعاد، فلذلك لن نذكرها، وهذه العلوم –ما عددناها وما لم نعدها– ليست أوائلها خارجة عن القرآن، فإنَّ جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى، وقد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له، فمن أفعال الله مثلا الشفاء والمرض، كما قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء:80]، وهذا الفعل الواحد لا يعرفه إلا من عرف الطب بكماله، إذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض بكماله وعلاماته ومعرفة الشفاء وأسبابه. ولا يعرف كمال معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:6-8] إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهرًا وباطنًا وعددها وأنواعها وحكمتها ومنافعها، وقد أشار في القرآن في مواضع إليها، وهي من علوم الأولين والآخرين، وفي القرآن مجامع علم الأولين والآخرين"[18].

ويوافقه السيوطي بقوله: "ما من شيء إلا يمكن استخراجه من القرآن بما فهّمه الله تعالى"[19].

---

[18] أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن، ص44-46.

[19] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج4، ص30.

المطلب الثالث: محتوى المعرفة ومنهجيتها وأسلمتها:

أوّلًا: محتوى المعرفة:

إنَّ الهدف من خلق الإنسان في الأرض هو عبادة الله وعمارة الأرض –لا الإفساد فيها–، وهذا ما يحدّد نوع المعرفة ومحتواها في كل المجالات الحياتية، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف:56]، وهذا من العبادة التي قال فيها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]، وعليه فمن مقاصد المعرفة الإسلامية المطلوبة ما يعرّف الإنسان بخالقه، والحكمة من خلقه، وخلق الكون وسننه، ومن ثَمَّ العمل بمقتضى تلك الحكمة[20].

وقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم كوحي يحوي تفاصيل جزء من هذه المعرفة الإسلامية المحضة، وأمّا الجزء الآخر من المعرفة الكونية فقد جاء القرآن الكريم بتوضيح طبيعته، وتحديد مفاتيحه، وتبيين معالمه في شكل كليّات وقواعد وإشارات، ينبغي أن تُؤسّس عليها تفاصيل تلك المعرفة التي تُركت لكسب العقل البشري؛ لأنَّ ذلك ميدان الامتحان الذي يقوم عليه التدبير الإلهي الخاص بخلق الإنسان واستخلافه في الأرض وعمارته لها.

ثانيًا: منهجية المعرفة:

قد بيّن الله تعالى في قرآنه الكريم أنه خلق الإنسان أوّل ما خلقه وهو جاهل بأمر هذا الكون وما فيه، فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:78]، ثمّ وهبه الوسائل التي يحصّل بها العلم، وهي السمع والبصر والفؤاد، وقد تأكّدت هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:36]، وقد أمرنا القرآن الكريم أن نوجّه هذه الوسائل الوجهة الصحيحة ونستخدمها الاستخدام الأمثل فيما ينفع في الدارين، وذلك مصداقًا لقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:46]، وفي ذلك دعوة صريحة للتبصر والعظة والاعتبار واتباع الحق الذي جاء به القرآن الكريم.

وإنَّ أوّل آية نزلت على خاتم الأنبياء والمرسلين –صلَّى الله عليه وسلَّم– تحمل مبدأً منهجيًّا مهمًّا، يفتح عملية البحث عن الحقائق المعرفية، قال سبحانه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق:1–5]، ومعنى ذلك أن نستفتح القراءة باسم الله، وأن نقرأ القرآن الكريم الجامع لكل خير، ثم اقترن الأمر بصفة الأكرمية، "فمن يقرأ القرآن

---

[20] انظر، محمد الحسن بريمة، رؤية القرآن للعالم ودلالتها على أولويات المشروع الإسلامي في السودان.

بعد ذلك يكتشف القراءة الثانية التي تمثّل الشقّ الثاني لاستكمال المنهج، وهي قراءة الكون بكلّ ما يحتويه قراءة الخلق ودراسة الوجود. فهما إذًا قراءتان تجب قراءتهما: كتاب منزّل متلو ومعجز وهو القرآن، وكتاب مخلوق مفتوح وهو هذا الخلق والكون بدءً من الإنسان"[21].

ويصف لؤي صافي هذه المنهجية المعرفية الإسلامية بقوله: "المنهجية المعرفية جهد علميّ يرمي إلى تحديد العلاقة بين الثابت والمتغير في الخبرة الإنسانية، طبعًا في تراثنا وفهمنا، العلوي هو الله عز وجل. والعلوي كذلك الذي يتجاوز اللحظة الرّاهنة ويخرج عن إطار الوضعي والإجرائي. والإنسان ينشد العلويّ باعتباره غاية نهائية، ويتعاطى مع الوضعي والإجرائي باعتباره وسيلة وأداة لتحقيق العلويّ والقيم المرتبطة به. ويجدر بنا أن نلاحظ أنَّ الثابت المعرفي ليس ثابتًا مطلقًا. المطلق المعرفي في حياتنا الإنسانية هو النصّ المنزّل. بل لنقل بتفصيل أدقّ أنَّ الثابت المعرفي هو الكليّ الثَّاوي في النصّ المنزّل؛ لأنّ النصّ المنزّل يحتاج إلى تفسير، وبالتالي فالفهم الناجم عن قراءة النصّ لا يفارق المحدودية البشرية ذات الطبيعة المتجدّدة المتغيّرة. هذا يعني أنّ الثابت المقصود ثابت معرفيّ لا ثابت نصيّ. وهذا يعني أيضًا ضرورة دراسة الثوابت المعرفية وتحديدها، وإدراك إمكانية نقدها وتشذيبها نظرًا لارتباطها بالمعرفة الإنسانية غير المعصومة وغير الكاملة، والقابلة للتطوّر والتجدّد بتطوّر الخبرة الإنسانيّة واتساعها وتراكم المعرفة وتمدّدها"[22].

ثالثًا: أسلمة المعرفة:

يسعى مشروع أسلمة المعرفة لتحقيق تكاملٍ معرفي بين الدِّراسات الشرعيَّة والإنسانية، وبين العُلوم الحديثة والتُّراثية.، ولا يكون التَّكامُل المعرفي بامتزاج التُّراث الإسلاميّ مع الفكر الغَرْبِيّ، بل بِرَصْد مَجموعةٍ من الضوابط لِخَلق منهجٍ يوجِّه العلوم برؤية إسلاميَّة، لِخِدْمة الدِّين لا لِمُعاداته؛ أيْ: طَرْح النَّتائج العِلْميَّة الحديثة بِصِيَغ متكاملة مع الدِّين وفق معايير علميَّة، فتكون للاستشهاد بِها له –لا عليه كما حاول ذلك دُعاة العلمنة والإلْحاد من قلب الحقائق العلميَّة بِمَفاهيمَ مُعاديةٍ للأديان–. كما تسعى إلى تفادي الأخطاء المنهجيَّةَ التقليدية وإعادة ترتيب التخصُّصات الحديثة في إطارٍ إسلاميّ، وذلك بإخضاعَ النظريَّات إلى المبادئِ الأوَّلية للمنهجية الإسلامية الآتية: وَحْدة الْخَلْق، وَحدة الْمَخلوق، وَحدة الحقيقة، وَحدة الحياة، وَحدة الإنسانيَّة[23].

ولهذا يقول عماد الدّين خليل: "تعني إسلامية المعرفة أو أسلمة المعرفة ممارسة النشاط المعرفي كشفًا وتجميعًا وتركيبًا وتوصيلًا ونشرًا من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان... ولا تنسحب فقط على ما يسمّى بالعلوم الصرفة (المحضة) والتطبيقية في التعامل مع الوجود، وإنّما تمتدّ بالضرورة إلى ما يُعرف بدائرة العلوم الإنسانية، بل إنها في هذه أشدّ ضرورة؛ لأنها المعنية بترتيب وضع الإنسان في العالم

---

[21] طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، ص11.

[22] لؤي صافي، في معنى المنهجية المعرفية، موقع الكاتب:
http://arabic.lsinsight.org/articles/methodology.html

[23] إسماعيل الفاروقي، إسلامية المعرفة؛ المبادئ العامة وخطة العمل، ص9.

وتنظيم حياته بما يجعله قديرًا على تحقيق مهمته في العالم... إنَّ إسلامية المعرفة ها هنا لا تعني فقط الدعوة لتحقيق الوفاق بين معطيات العلوم الإنسانية وبين المطالب الدينية على مستوى التطبيق، وإنَّما تعني قبل هذا وبعده احتواء كافة الأنشطة المعرفية الإنسانية على المستويين النظري والتطبيقي معًا من أجل جعلها تتحقق في دائرة القناعات الإيمانية، وتتشكّل وفق مطالبها وتصوراتها الشاملة أسوة بالعلوم الأخرى"[24].

ويصف محمد عمارة إسلامية المعرفة بقوله: "هي المذهب القائل بوجود علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية، والرافض لجعل الواقع والوجود وحده المصدر الوحيد للعلم الإنساني والمعرفة الإنسانية. هي المذهب الذي يقيم المعرفة الإنسانية على ساقين اثنين: الوحي وعلومه، والكون وعلومه. وليس على ساق واحدة هي الوجود. ولذلك كان تميّز هذا المذهب في المعرفة أيضًا باعتماد كل أدوات وسبل المعرفة، المناسبة لإدراك الحقائق ومعارف كل من المصدرين... وليس فقط اعتماد الحواس وتجاربها لأنها إن نهضت بمهام الإدراك لحقائق الوجود وعالم الشهادة، فلن تفي بإدراك حقائق وتصورات كتاب الوحي وعالم الغيب"[25].

ويقول أيضًا: "وإسلاميتها إنما تعني إيجاد علاقة بينها وبين السنن الإلهية، التي جاء بها الوحي، في الكون والإنسان والاجتماع.. وكذلك توظيف هذه العلوم والمعارف عن طريق أسلمة معرفتها لتحقيق المقاصد والغايات الشرعية التي حددها الوحي (حكمة) لخلق الله سبحانه وتعالى الكون والإنسان"[26].

ولعلَّ المخطط الآتي يوضّح بعض المبادئ الأساسية لمشروع إسلامية المعرفة:

إتقان العلوم الحديثة
القيام بدراسة مسحية للعلوم الحديثة
إتقان العلوم التراثية
القيام بدراسة مسحية للعلوم التراثية
تحديد التناسب بين الإسلام والعلوم الحديثة
التقويم النقدي للعلوم الحديثة
التقويم النقدي للتراث الإسلامي
الدراسة المسحية لمشكلات الأمة الرئيسية
الدراسة المسحية لمشكلات الأمة الإنسانية

[24] عماد الدين خليل، مدخل إلى إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1990م، ص9–12. بتصرف.

[25] محمد عمارة، إسلامية المعرفة، دار الشرق الأوسط: د.ت، ص15.

[26] المرجع نفسه ص16.

ملحق 1: مخطط لمبادئ إسلامية المعرفة

وتقوم إســـلامية المعرفة على قاعدة الجمع بين القراءتين، ولذلك تعمل على قراءة الوحي والكون بمنهجية واحدة، انطلاقًا من إطارها المعرفي القائم على دعائم التوحيد ووحدة الخلق في علاقته بالخالق، ووحدة الحق ومفهومه في الوحي وفي الوجود، ووحدة الحقيقة فيهما كذلك، والجمع بين تعليل الوحي والحكمة فيه، وغائية الكون وقوانين الأسباب فيه... وهي بذلك منهج معرفي بديل للمادية والوضعية المتجاهلة لله وللغيب من ناحية، كما أنها تمثّل بديلاً عن اللاهوتية والكهنوتية المستلبة للإنسان والطبيعة من ناحية أخرى.

المبحث الثاني: الفرق بين الإعجاز العلميّ وضوابطه والتفسير العلميّ وأسسه:

من أكثر الأسباب التي أدّت إلى تباين المواقف حول التفسير العلمي قبولاً أو ردًّا عدم التفريق بينه وبين الإعجاز العلمي، وقد كان ذلك حتى في أوساط بعض المتخصصين في هذا المجال، فمنهم من يظنّهما شيئًا واحدًا[27]، ومن هنا تأتي الإشكالية الآتية: هل كل آية تتضمّن إشارة علمية في قضية كونيّة أو طبيّة أو نحوها تحمل إعجازًا علميًّا بالمعنى الدقيق للإعجاز؟ وللإجابة عن ذلك سنقوم –في هذا المبحث– بتحديد المفاهيم بدقّة مع ذكر أهم الأسس والضوابط لكلّ منهما على النحو الآتي:

المطلب الأول: التفسير العلميّ وأسسه:

أولا: مفهوم التفسير العلميّ:

لتحديد مفهوم التفسير العلمي كمصطلح حديث لابدّ –أوّلًا– من الرجوع إلى معنى التفسير ثم مراعاة التركيب الإضافي في تبيين دلالة المصطلح.

1_ التفسير لغة: تفعيلٌ من الفَسْرِ، وأصلُ مادَّتِه اللُّغوية تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه، فهو مأخوذٌ من قولِهم: فَسَرْتُ الحديثَ، أفسُرُهُ فَسْرًا؛ إذا بيَّنتُه[28].

[27] قد ذهب الدكتور غانم قدوري الحمد إلى أنَّ "الإعجاز العلمي يتناول دراسة الآيات التي وردت فيها إشارة إلى قضايا علمية تتعلق بالفلك أو الطب، أو علمي النبات والحيوان ونحوهما". انظر: غانم الحمد، محاضرات في علوم القرآن، ص249.

[28] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص504.

فالتفسير يعني الإبانة والكشف والإيضاح والتبيين، مأخوذ من "كشف المغطى وبيانه"[29]. ولذا فقد فسَّر مجاهد قوله تعالى:﴿وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾[الفرقان:33] بقوله: بيانًا[30].

2_ التفسير اصطلاحًا:

_ عرّفه ابن جُزَيّ بقوله: "معنى التَّفسيرِ: شرحُ القرآنِ، وبيانُ معناه، والإفصاحُ بما يقتضيه بنصِّه أو إشارَتِه أو نجواه"[31].

_ وعرّفه ابن عاشور بقوله: "التَّفسير: اسمٌ للعِلْمِ الباحثِ عن بيانِ معاني ألفاظِ القرآنِ، وما يستفاد منها، باختصارٍ أو توسعٍ"[32].

_ وعرّفه الزركشي بقوله: "التفسير علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيّه محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات وغيرها من العلوم..."[33].

3_ تعريف التفسير العلمي:

عند إضافة لفظة "العلم" للتفسير تنحصر الدلالة أكثر، وهذا ما سيتجلّى من خلال هذه التعريفات:

- تعريف الدكتور صلاح الخالدي بأنه: "تفسير الآيات تفسيرًا علميًّا وفق قواعد العلم الحديث، وبيان المضامين العلمية للآيات وفق مقررات وتحليلات العلم الحديث"[34].
  وعرّفه في موضع آخر بأنه: "النظر في الآيات ذات المضامين العلمية من الزاوية العلمية، وتفسيرها تفسيرًا علميًّا، وذلك بالاستعانة بالعلوم والمعارف والمكتشفات الحديثة في توسيع مدلولها وتقدير معناها"[35].
- تعريف أمين الخولي بأنه: "التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها"[36].

---

[29] ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص55.

[30] الطبري، جامع البيان، ج19، ص12.

[31] ابن جُزَي، التسهيل لعلوم التَّنْزيل، ج1، ص6.

[32] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص11.

[33] انظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص13.

[34] صلاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص566.

[35] صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ص267.

[36] أمين الخولي، التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم، ص19.

- تعريف الدكتور محمد لطفي الصباغ بأنه: "تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية، والربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية"[37].
- تعريف الدكتور عبد الله الأهدل بأنه: "تفسير الآيات الكونية الواردة في القرآن على ضوء معطيات العلم الحديث"[38].
- تعريف الدكتور عبد المجيد المحتسب بأنه: "التفسير الذي يتوخّى أصحابه إخضاع عبارات القرآن للنظريات والاصطلاحات العلمية، وبذل أقصى الجهد في استخراج مختلف مسائل العلوم والآراء الفلسفية منها"[39].
- تعريف الدكتور أحمد أبو حجر بأنه: "التفسير الذي يحاول فيه المفسّر فهم عبارات القرآن، في ضوء ما أثبته العلم، والكشف عن سرٍّ من أسرار إعجازه"[40].
- تعريف الشيخ عبد المجيد الزنداني بأنه: "الكشف عن معاني الآية أو الحديث، في ضوء ما ترجّحت صحّته من نظريات العلوم الكونية"[41].
- تعريف الدكتور زغلول النجار بأنه: "توظيف كلّ المعارف المتاحة لحسن فهم دلالة الآية القرآنية"[42].

ومن خلال ما سبق يمكن استخلاص أنَّ المراد بالتفسير العلمي: استخدام حقائق العلم التجريبي في زيادة إيضاح معاني الآيات القرآنية وتوسيع مدلولاتها.

ولابدّ أن نستصحب في تحديد المفهوم أنَّ العلم التجريبي خادم للنص القرآني، وليس حاكمًا عليه، وأثر العلم التجريبي الحديث على القرآن الكريم يكمن في زيادة إيضاح المعاني وتوسيع المدلولات فقط؛ لأنّ معاني الآيات القرآنية العامة كانت واضحة للصحابة والسلف، وإنما أسهم العلم التجريبي الحديث في زيادة الإيضاح لبعض المعاني الخاصة مع توسيع بعض الدلالات[43].

فالقرآن الكريم يحوي بعض الآيات التي تتحدّث عن الكون مثلًا، وهذه الآيات لم ترد من قبيل الإخبار العلمي المباشر للإنسان، وذلك لأنّ الكسب العلمي تُرك لاجتهاد الإنسان وتحصيله عبر فترات زمنية طويلة

---

[37] محمد لطفي الصباغ، لمحات من علوم القرآن لمحمد لطفي الصباغ، ص203.

[38] عبد الله الأهدل، التفسير العلمي للقرآن، ص15.

[39] عبد المجيد عبد السلام المحتسب، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص247.

[40] أحمد أبو حجر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص72.

[41] عبد المجيد الزنداني، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص24.

[42] زغلول النجار، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص35.

[43] انظر: زغلول النجار، السماء في القرآن، ص3، وآيات الإعجاز العلمي في القرآن، ص35.

نظرًا لمحدودية القدرات الإنسانية، وللطبيعة التراكمية للمعارف الكونية، وهذه الآيات تحتاج إلى تفسير، ومن هنا كان لزامًا علينا أن نوظّف جميع المعارف النافعة المتاحة في تفسير كتاب الله تعالى، ولمّا كانت المعارف الكونية في تطوّر مستمر، وجب على أمة الإسلام أن ينفر منها في كل جيل نفر من علماء المسلمين الذين يتزوّدون بالأدوات اللازمة، للتعرّض لتفسير كلام الله من مثل الإلمام التام باللغة العربية وعلومها المختلفة وبأحوال الدين وبأسباب النزول، وبالناسخ والمنسوخ، وبالمأثور من التفسير، وبجهود السابقين من كبار المفسرين، وبالقدر اللازم من العلوم المتاحة عن الكون ومكوناته، وغير ذلك مما يحتاجه كل من يتشرف بالقيام بمثل هذه المهمة العظيمة. وفي التفسير العلمي للآيات الكونية توظف كل المعارف المتاحة من الثوابت العلمية والنظريات والفروض والمشاهدات، لأنّ التفسير جهدٌ بشريٌ؛ لمن أصاب فيه أجران، ولمن أخطأ له أجر واحد.

وتعدّ مرحلة التفسير العلمي مرحلة أولية لإرساء دعائم التوجه إلى الخطوة الثانية، خطوات الاعتماد على الحقائق العلمية لإثبات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وبداية الاتجاهات الخاصة بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فهو الكتاب المعجز الخالد، كما أشار إلى ذلك الدكتور فهد الرومي بوصفه للتفسير العلمي بأنه "اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز للقرآن"[44].

4_ أسس التفسير العلمي:

إنَّ اعتماد المفسّر على العلم في تفسيره للقرآن الكريم لم يكن مفصولًا عن أفقه المعرفي وثقافته العلمية؛ بل كان ذلك دافعًا إلى أن يبحث في الآيات القرآنية عن إجابات لتساؤلات أثارها العلم في زمنه. فالعلم والتراكم المعرفي وثقافة العصر مصدر من مصادر المعرفة البشرية، والقرآن الكريم يقبل كل نتائج العلم الصحيحة ويتوافق معها ولا يتعارض معها أبدًا، فقائله وخالق الكون واحد سبحانه.

وإنّ دور طبيعة الألفاظ في اللغة العربية واتساع دلالاتها جعل المفسّر في مجال رحب لتفسيره العلمي، وسمح له بأن يجعل ما يكشف عنه العلم الحديث داخلا في دلالة اللفظ الذي كان يدلّ على أشياء معيّنة في الماضي، فبعد أن يكشف العلم الحديث عن حقائق علمية نجد أنَّ المفردة القرآنية قابلة لحمل تلك الدلالات والإشارات من المعاني العلمية التي تدلّ على هذه الحقائق المكتشفة. ومع ذلك فلابدّ للمفسر ألا يبالغ في تحميل ألفاظ القرآن الكريم ما لا تحتمل من الدلالات، كما يجب أن يراعي بعض الأسس والضوابط في تفسيره العلمي للقرآن الكريم، ومن أهمها ما يلي:

---

[44] فهد عبد الرحمن الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج2، ص547.

1. ليس لزومًا أن تحتمل الآية القرآنية وجهًا تفسيريًّا علميًّا، إذ اقتصارها على بعض المعاني الهدائية والتزكوية فقط أمر محتمل أيضًا.
2. ليس كل حادث علمي نازل بملزم للمفسِّر البحث فيه وفي قضاياه داخل النصّ القرآنيّ، إذ أصل العملية التفسيرية العلمية جاءت للاستئناس وزيادة الإيمان بعظمته، لا جعله ميدانًا لكلّ شاردة وواردة في الميادين العلمية.
3. أن يجعل المفسِّر مهنته مقتصرة على بذل محاولات تأويلية تتجاوز المدلول الظاهر للآيات القرآنية، بغية القول بتطابق مدلولاتها مع معطيات العلم الحديث ومخرجاته، وكشف الصلة بين تلك المخرجات العلمية والآيات القرآنية.
4. التأصيل إلى أنَّ الحقائق العلمية الثابتة لا تتعارض والنص القرآني المقدَّس، وأنَّ العلم والقرآن تحكمهما علاقة التداخل والتكامل والتطابق، وأنَّ العلم التجريبي خادم للنصّ القرآنيّ، وليس حاكمًا عليه.
5. إخضاع العلوم التجريبية لسلطة النصّ المقدَّس، فما وافق قطعي الدّلالة والثّبوت فيه، كان زائدًا في بيان عظمة القرآن الكريم، وأنه مصداق لألوهية نصّه ونبوّة رسوله.
6. استحضار المفسّر لقداسة القرآن الكريم أثناء العملية التفسيرية، وأنه كتاب هداية وتزكية[45].
7. موافقة اللغة موافقة تامة بحيث يطابق المعنى المفسّر والمعنى اللغوي.
8. عدم مخالفة صحيح المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو ما له حكم الرفع.
9. موافقة سياق الآيات حيث لا يكون التفسير نافرًا عن السياق السابق واللاحق.
10. ألا يكون التفسير حسب نظريات وهمية متداعية، فلابدّ أن يكون حسب الحقائق العلمية الثابتة[46].

المطلب الثاني: الإعجاز العلميّ وضوابطه:

لتحديد مفهوم الإعجاز العلمي كمصطلح حديث لابدّ –أوّلًا– من الرجوع إلى معنى الإعجاز ثم مراعاة التركيب الإضافي في تبيين دلالة المصطلح.

---

[45] انظر، عبد الغني عيساوي، الاتجاه العلمي بين التفسير والإعجاز مقاربة ضابطة للفروق والمقاصد، ص8.

[46] فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص259–260.

1_ الإعجاز لغة: مصدر للفعل الرباعي أعجز، تقول: أعجز يُعجز إعجازًا، واسم الفاعل مُعجِز. يقال أعجزه الأمر: إذا حاول القيام به فلم تسعه قدرته[47]. ومنه نقول: أعجز الرجلُ خصمَه، بمعنى: فاته، وسبقه، وغلبه، فلم يستطع الخصمُ العاجز إدراكه[48].

وجذر كلمة "إعجاز" هو: "عجْز"، تقول: عجَز يعجِز عجزًا، بمعنى ضَعُف عن الشيء ولم يقدر عليه[49].

2_ الإعجاز اصطلاحًا:

- يعرّفه الزرقاني بقوله: "إعجاز القرآن مركب إضافي، معناه بحسب أصل اللغة إثبات القرآن عجزَ الخلقِ عن الإتيان بما تحدّاهم به، فهو من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلّق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحدّاهم به، ولكنّ التعجيز المذكور ليس مقصودًا لذاته بل المقصود لازمه، وهو إظهار أنَّ هذا الكتاب حق، وأنَّ الرسول صلَّى الله عليه وسلم الذي جاء به رسول صدق"[50].
- ويعرّفه حسن عبد الفتاح بقوله: "أنَّ القرآن قد سما في علوه إلى شأن بعيد بحيث تعجز القدرة البشرية عن الإتيان بمثله، سواء كان هذا العلو في بلاغته، أو تشريعه، أو مغيباته أو غير ذلك"[51].
- ويعرّفه الخالدي بقوله هو: "عجز العرب المعاصرين لنزول القرآن الكريم، الذين كفروا به، عن معارضته مع توفر ملكتهم البيانية، وموهبتهم البلاغية، وقيام الداعي على المعارضة، ووجود الباعث، واستمرار التحدّي مع استمرار هذا العجز من الكافرين جميعًا على اختلاف الأماكن والأزمان والأقوام حتى قيام الساعة"[52].

3_ الفرق بين الحقيقة العلمية والنظريات العلمية:

النظرية العلمية: هي مجموعة فروض قابلة للتعديل والتغيير والتطور وتقبل إضافة عناصر بها في مجال التنبؤ بما يجد من ظواهر وعلاقات أو تفسير ظاهرة علمية سبق أن أثير حولها شكوك في التنظير[53].

---

[47] انظر، إرشاد الحق باميانى، محاضرات في إعجاز القرآن الكريم، ص21.

[48] انظر، صلاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص15.

[49] انظر: المرجع نفسه، ص13، بتصرف.

[50] الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، ص331.

[51] حسن عبد الفتاح، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ج1، ص11.

[52] صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ص33.

[53] عبد السلام حمدان اللوح، التفسير العلمي بين القبول والرد، ص102.

الحقيقة العلمية: هي التوصل النهائي بواسطة العلم ومناهجه وبصورة قاطعة إلى نتيجة علمية محقّقة، ويتم الإجماع عليها فتكون غير قابلة للنقاش والاعتراض، وتتجلّى في الوصف الصادق الأمين لتفسير ظاهرة علمية معيّنة أو لجانب من جوانبها[54].

وعلى الرغم من أنَّ الحقيقة العلمية هي نهاية ما وصل إليه العلم إلا أنّها قد يعتريها شيء من التطوّر حسب إمكانات العصر وما يجدّ فيه من معارف وعلوم، ولهذا لا نجزم بأنَّ مراد الله من آياته هو هذه النظرية أو تلك الحقيقة، وإنما نستأنس بهما خاصة إن توافقتا مع ظاهر الآيات القرآنية، وإن ثبت خطأ نظرية سبق وأن استأنس بها البعض في تفسير آية قرآنية، فهذا يدعو إلى إعادة النظر في فهم الآية، ولا ينقص ذلك من قدر القرآن الكريم.

4_ مفهوم الإعجاز العلميّ:

يرى عبد المجيد الزنداني أنَّ الاعجاز العلمي هو: "إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيرًا، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلّى الله عليه وسلّم"[55].

فالإعجاز يتجلَّى في عدم مقدرة الإنسان على الإتيان بمثل القرآن الكريم، وقد جاء التحدّي في وقت النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وبقي مستمرًّا إلى يوم القيامة، فقد تحدّى الله الإنس والجن على أن يأتوا بمثل القرآن في جميع جوانب الإعجاز فيه: الجانب البياني، والتاريخي، والإخباري، والتشريعي، والتربوي، والعلمي التجريبي؛ ويبقى العجز قائمًا في كل عصر ومصر تبعًا لاهتمامات الناس ومعارفهم وتفوقّهم في ذلك المجال. وإنَّ الإعجاز العلمي اليوم مهم جدًّا بسبب التطور العلمي الراهن؛ خاصة وأنه يتمثّل في "تأكيد الكشوف العلمية الحديثة الثابتة والمستقرة للحقائق الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة بأدلة تفيد القطع واليقين باتفاق المتخصصين، وثبتَ عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلّى الله عليه وسلّم"[56].

ومعلوم أنَّ القرآن الكريم معجز من كلّ وجه، "يراه الأديب معجزًا، ويراه اللغوي معجزًا، ويراه أرباب القانون والتشريع معجزًا، ويراه علماء الاقتصاد معجزًا، ويراه المربون معجزًا، ويراه علماء النفس والمعنيون بالدراسات النفسية معجزًا، ويراه علماء الاجتماع معجزًا، ويراه المصلحون معجزًا، ويراه كل راسخ في علمه معجزًا"[57].

---

[54] انظر، عبد السلام حمدان اللوح، التفسير العلمي بين القبول والرد، ص103.

[55] عبد المجيد الزنداني، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص24.

[56] عبد المجيد بن محمد الوعلان، الآيات الكونية دراسة عقدية، ص129.

[57] غانم قدوري الحمد، محاضرات في علوم القرآن، ص252.

ولا ينبغي قصر الإعجاز على جانب واحد فحسب، فمن يقصره على الجانب البياني اللغوي عليه أن يتأمّل في الإجابة عن هذه التساؤلات:

كم هي نسبة الذين يتذوقون اللغة العربية ويدركون أسرار البيان فيها اليوم بالنسبة للناطقين بها؟ وكم هي نسبة العرب إلى غير العرب من المسلمين اليوم؟ وكم هي نسبتهم بالنسبة إلى أهل الأرض جميعًا؟

5_ ضوابط الإعجاز العلمي:

1. يعدّ التكامل المعرفي والاتجاه العلمي في القرآن الكريم (تفسيرًا وإعجازًا) بمثابة التجديد لرسالة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فكأنما هو قائم في كلّ عصر يُرى الناس دليل صدقه، وهو ذلك التوافق والتطابق بين سنن الله في الكون وآيات الله في القرآن الكريم، ومع ذلك يجب عدم إخضاع كل الآيات القرآنية لتوافق الحقائق العلمية، فإنه لا يشترط أن تكون لكل حقيقة علمية ما يوافقها من الآيات القرآنية، كما أنه لا يشترط أن تكون لكل آية ما يوافقها من الحقائق[58].
2. إثبات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم يستدعي الحذر الشديد والحيطة البالغة، والاحتراس والحذق والفطنة[59].
3. عدم التسرع والتحمس في إظهار التوافق ما بين القرآن والعلم على حساب الانضباط العلمي والنضوج الفكري، ومن ذلك عدم مراعاة المنهجية العلمية والموضوعية والتسرع في الاستنتاجات وإبراز النتائج بدافع الرغبة في السبق إلى إثبات الإعجاز، وليس الرغبة في البحث عن الحقيقة وتأكيدها[60].
4. أن يدل نصّ الكتاب على الحقيقة العلمية بأحد طرق الدلالة الشرعية واللغوية أيضًا، مع البعد عن التأويل المتكلّف في بيان إعجاز القرآن الكريم، والالتزام بحدود ما تعطيه الألفاظ القرآنية من دلالات في استعمالاتها العربية، وعدم تحميلها فوق ما يمكن أن تحتمل بحسب وضعها اللغوي.
5. مراعاة مرونة الأسلوب القرآني: فعند إرادة فهم كلمة قرآنية لابدّ من الرجوع إلى دلالات الكلمة الحقيقية والمجازية واستعمالاتها في اللغة العربية لتكون المعاني التي تحتملها الكلمة واضحة في الذهن عند الإقدام على تفسيرها أو إثبات الإعجاز فيها[61].
6. لا ينبغي الحكم على بطلان وفساد الدلالات اللغوية الأخرى للكلمة القرآنية في حالة ترجيح دلالة مبنية على حقيقة علمية، فقد تكون الحقيقة العلمية إحدى وجوه دلالات الآية فحسب، وظلالها

---

[58] عبد السلام حمدان اللوح، التفسير العلمي بين القبول والرد، ص128-129.

[59] السيد الجميلي، الإعجاز العلمي في القرآن، ص13.

[60] ظفر إسحاق أنصاري، التفسير العلمي للقرآن، ص14.

[61] مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ص161.

ممتدّة إلى حقائق أخرى لم يتوصّل إليها العلم بعد، خاصة وأنَّ التقدم العلمي والحضاري كفيل على أن يُميط اللثام عن كثير من جوانب الإعجاز لهذا الكتاب الخالد[62].

7. ألا يفسر القرآن الكريم إلا بالحقائق الثابتة التي ارتقت من درجة النظريات العلمية إلى مقام اليقينيات العلمية، وهذا ما أكّده الدكتور زغلول النجار بقوله: "عدم الاعتماد على النظريات والفروض العلمية في الإعجاز العلمي مع إمكانيه تغليب أحد النظريات أو الفروض العلمية في التفسير العلمي"[63].
8. استحضار مبدأ استحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية؛ وذلك لأنهما صادران من مشكاة واحدة، فالحقائق القرآنية المتعلقة بأي جانب من جوانب الكون أو الإنسان أو الحيوان أو النبات إذا كانت قطعية الدلالة لا يمكن أن تصادمها حقيقة علمية توصل إليها الجهد البشري، وما يثار –أحيانا– من توهّم وجود تناقض ما هو سوء فهم للحقيقة القرآنية بأن يتوهّم أنها قطعية الدلالة ولا تكون كذلك، أو سوء فهم للحقيقة العلمية، كأن يُظن بأنها حقيقة علمية وهي لا تزال في طور النظرية، ومعلوم أنَّ القرآن منزّل من خالق السماوات والأرض وواضع سننه ومدبر شؤونه، والحقائق العلمية التي تكتشف هي من صنعه ووضعه في الكون ولا يليق بحكمة الحكيم الخبير أن يخلق شيئا على هيئة معينة ثم يخبرنا بخلافها –حاشاه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك:14][64]. ولهذا يقول الشيخ عبد المجيد الزنداني: "إذا وقع تعارض بين دلالة قطعية للنص وبين نظرية علمية، رفضت هذه النظرية؛ لأنَّ النص وحي من الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأنَّ هنالك نصوصًا من الوحي قطعية الدلالة، كما أنَّ هنالك حقائق علمية كونية قطعية، وهناك نصوص من الوحي ظنية الدلالة، كما أنَّ هنالك نظريات في العلم ظنية في ثبوتها، وأنه لا يمكن أن يقع تعارض بين قطعي من الوحي وقطعي من العلم التجريبي، فإن وقع في الظاهر فلابدّ أن يكون هنالك خلل في ثبوت قطعية أحدهما، وإذا وقع التعارض بين حقيقة علمية قطعية وبين آية ظنية في دلالتها فيؤول الظني ليتفق مع الحقيقة العلمية، وحيث لا يوجد مجال للتوفيق فيقدم القطعي[65].
9. عدم الخوض في أمور غيبية مطلقة كالذات الإلهية والملائكة والجن والروح وحياة البرزخ والجنة والنار، فلابدّ من التسليم الكامل بالنصوص الواردة فيها وإن لم يدرك الإنسان حقيقتها بالتفصيل، وذلك لسنة الله في خلق إذ جعل العقل البشري عاجزًا عن إدراك كنه عالم الغيب.

---

[62] مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ص162.

[63] انظر، حمزة حسن سليمان، قضايا الإعجاز العلمي والتفسير العلمي للقرآن بين المجيزين والمانعين، ص193.

[64] المرجع نفسه، ص163.

[65] المرجع نفسه، ص193.

10. الحرص على عدم الدخول في التفاصيل العلمية الدقيقة التي لا تخدم قضية الإعجاز العلمي للآيات القرآنية، مثل المعادلات الرياضية المعقّدة، والرموز الكيميائية الدقيقة، ولا تستعمل إلا في أضيق الحدود اللازمة لإثبات وجه الإعجاز، وذكر مثل هذه الأبحاث والتفاصيل العلمية يكون على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة العلمية القرآنية والمبادرة إلى مثل هذه الاكتشافات والدراسات[66].

6_ أهمية الإعجاز العلمي:

يوضح الدكتور زغلول النجار –وهو من المتخصصين في طبقات الأرض والإعجاز العلمي في القرآن الكريم– أهمية الإعجاز العلمي وذلك بذكر مثال توضيحي على أنَّ إشارة القرآن الكريم إلى جعل الجبال أوتادا تحمل –فعلا– حقيقة علمية وإعجازا، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ6–7]، فما دامت الجبال تمسك بأطراف سطح الأرض بقوة ولا تميد بالناس؛ فهي في شكل أوتاد لتثبيت الأرض، وهذه الحقيقة لم تكن معروفة قبل 13 قرنًا من نزول القرآن الكريم، ثم يخلص إلى أنَّ هذه الأمثلة تندرج ضمن مجموعة كبيرة من الشهادات والحقائق التي تثبت الطبيعة الإلهية للقرآن ومصداقية الرسالة المحمدية، حيث لم يعرف أيّ إنسان أيّ شيء حول هذه الحقائق قبل منتصف القرن التاسع عشر، وإنَّ الصورة الحقيقية لم تكتمل بشكلها الحالي إلا في عقد الستينات[67].

ويشهد لهذه الأهمية موريس بوكاي الذي توصل إلى أنه لا يمكن وجود أيّ تعارض بين الحقائق العلمية الثابتة وبين الوحي، وذلك بعد دراسته للتطابق بين النصوص القرآنية ومواد العلم الحديثة الثابتة، ليستنتج بعدها أنَّ القران الكريم لم يتضمّن قولا واحدًا يمكن دحضه من وجهة نظر العلم الحديث، وذلك بخلاف نتائج دراسته للكتاب المقدس ومقاييس العلم الحديث إذ وجده يبتعد كل البعد عن الحقائق العلمية الحديثة الثابتة، ولهذا يقول: "وبالنظر إلى مستوى المعلومات التي كانت موجودة في عهد محمّد فإنَّه من غير الممكن التصديق بأنّ كثيرا من الحقائق العلمية التي تضمنها القرآن يمكن أن تكون من عمل الإنسان، فلا يمكن أن يصدر هذا عن أميَّ، وهذا يدل على ثبوت نبوّة محمّد وأنه نبيّ يُوحى إليه... فالقرآن فوق المستوى العلمي للعرب، وفوق المستوى العلمي للعالم، وفوق المستوى العلمي للعلماء في العصور اللاحقة، وفوق مستوانا العلمي المتقدم في عصر العلم والمعرفة في القرن العشرين"[68].

المطلب الثالث: الفرق بين الإعجاز العلميّ والتفسير العلميّ:

---

[66] انظر، حمزة حسن سليمان، قضايا الإعجاز العلمي والتفسير العلمي للقرآن بين المجيزين والمانعين، ص194.

[67] زغلول النجار، مصادر المعرفة العلمية، المبدأ الجغرافي للجبال في القرآن، ص47–50.

[68] موريس بوكاي، الكتاب المقدس والقرآن والعلم، ص150.

Bucaille, Maurice.The Bible, the Qur'an and Science.

يحدّد الدكتور محمد راتب النابلسي الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي بقوله: "أنَّ التفسير العلمي كشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجّحت صحّته من حقائق العلوم الكونية، أمّا الإعجاز العلميّ فهو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبيّ أخيرًا، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلّى الله عليه وسلّم"[69].

ويوضّح الدكتور عادل الشدي أهمّ الفروقات بينهما بقوله: "يظهر الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي إذا ركزنا على أمرين:

- أحدهما: أنَّ استخدام مكتشفات العلم التجريبي في بيان معاني الآيات القرآنية هو التفسير العلمي، وأنَّ استخدام هذا التفسير العلمي في إثبات صدق النبوّة وكون القرآن كلام الله لذكره ما لا يمكن للبشر أن يعرفوه في ذلك الوقت هو الإعجاز العلمي، فكأنَّ التفسير العلمي وسيلة لغاية: هي الإعجاز العلمي.
- والثاني: أنَّ القرآن حجة الله على الإنس والجن أجمعين، وجزء كبير من الثقلين من غير المسلمين، وغير المسلم لا يقتنع بصدق النبوّة بمجرّد ورود بعض الإشارات العلمية في الآيات القرآنية التي يجتهد المفسرون في استخدامها لإيضاح المعنى، وهو ما يسمّى التفسير العلمي. إنما يُحتجّ عليه بما يثبت قطعًا استحالة معرفة البشر له وقت نزول القرآن الكريم، ومنهم محمد صلَّى الله عليه وسلَّم، ثمّ يكشف الله للناس بعد ذلك من حقائق العلم التجريبي ما يكون مذكورًا في القرآن، فهذا هو الإعجاز العلمي"[70].

ويمكن تلخيص أهمّ أوجه المقارنة بين الإعجاز العلميّ والتفسير العلميّ فيما يلي:

1_ أوجه الشبه:

- كلاهما من الاتجاه العلمي في الدراسات القرآنية المعاصرة.
- كلاهما مما يحتاج إليهما المفسّر والداعية في هذا العصر، فقد يستخدم أحدهما في تفسيره للقرآن الكريم، أو في الدعوة إلى الإيمان بالقرآن ورسالة الإسلام، كما أنه قد يجمع بينهما في التفسير والدعوة.

---

[69] محمد راتب النابلسي، آيات الله في الإنسان، ص11.

[70] عادل علي الشدي، التفسير العلمي للقرآن، جذوره، الموقف منه، مقال الكتروني، انظر موقع مداد:

https://quranpedia.net/book/14042

2_ أوجه الاختلاف:

- الهدف من التفسير العلمي إظهار الصلة بين العلم والقرآن، واستخدام مكتشفات العلم التجريبي في بيان معاني الآيات القرآنية، مع الإشارة إلى دقة الوصف القرآني لهذه الظواهر. وأمّا الإعجاز العلمي فيهدف إلى إثبات السبق العلمي للقرآن الكريم بذكره للمكتشفات العلمية، وذلك بذكر احتمال اللفظ القرآني لإحدى الدلالات التي توافق ما يقول به العلم، والاحتجاج بمخرجاته ونتائجه على غير المسلمين تدليلا على صدق القرآن ونبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم.
- ليس كلّ ما يطلق عليه بالإعجاز العلمي هو كذلك؛ فهنالك أمثلة كثيرة تدخل في التفسير العلمي ولا ترتقي إلى درجة الإعجاز.
- التفسير العلمي وسيلة لغاية هي الإعجاز العلمي، والإعجاز العلمي مستمدّ من التفسير العلمي، فكلّ إعجاز علميّ تفسير علميّ، وليس كلّ تفسير علميّ إعجازًا علميًّا.
- الإعجاز العلمي للقرآن الكريم لا يجوز أن يوظف فيه إلا القطعيّ من الثوابت العلمية، وذلك لأنّ المقصود بالإعجاز العلمي هو إثبات أنّ القرآن الكريم هو كلام الله رب العالمين حقًّا.
- لا يقتضي عدم التسليم بالإعجاز العلمي وعدم الإقرار به في آية معيّنة بأنه ردّ للتفسير العلمي.
- تفسير عبارات القرآن بالعلم ينتج تفسيرًا علميًّا، وإخضاع نتائج العلم للقرآن الكريم ينتج إعجازًا علميًّا.
- اختلاف العلماء –بين مؤيد ومعارض– في مسألة قبول التفسير العلمي أو رفضه، لكنهم اتفقوا على إثبات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم –بين مقلّ ومكثر–[71].

خاتمة:

الحمد لله أن وفّقنا في هذا البحث الموجز لضبط مفهوم إعجاز القرآن الكريم وتفسيره العلمي، وتبيين أسس وضوابط هذا الاتجاه العلمي في ظلّ أسلمة المعرفة وتكامل العلوم، وقد خلصنا إلى نتائج كثيرة، من أهمّها ما يلي:

1_ إنَّ المصدر الأساس للمعرفة هو الله سبحانه وتعالى، وهو صاحب الكتاب المنظور والكتاب المسطور.

2_ القرآن الكريم مصدر معرفي ومنهجي يدعوا إلى البحث عن الحقائق المعرفية الكونية.

---

[71] حمزة حسن سليمان، قضايا الإعجاز العلمي والتفسير العلمي للقرآن بين المجيزين والمانعين، ص187.

3_ إنَّ الرؤية القرآنية للظواهر العلمية والطبيعية تتوافق مع العلم الوضعي، بل وتتفوّق عليه مصدريًّا قبل التجريب؛ وذلك لأنَّ القرآن الكريم صفة لله تعالى، والخلق فعل من أفعال الله تعالى.

4_ الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي يكمن في أنَّ التفسير العلمي كشف عن معاني الآية وتفاصيلها استنادًا إلى حقائق العلم التجريبي ونظرياته، وأمَّا الإعجاز العلمي فهو إخبار القرآن بحقيقة علمية أثبتها مؤخرا وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم.

5_ من أهمّ الضوابط والأسس في هذا المجال ألَّا يُفسر القرآن ولا يُشار إلى إعجازه إلَّا باليقينيات العلمية والحقائق الثابتة التي ارتقت من درجة الفروض والنظريات إلى مقام اليقينيات والحقائق.

6_ يُعدّ التفسير العلمي والإعجاز العلمي من الدراسات القرآنية المعاصرة التي تندرج ضمن مشروع أسلمة المعرفة، كما أنَّ هذا الاتجاه من أبرز الوسائل العلمية والدعوية الحديثة.

وأمَّا التوصيات، فمن أهمّها ما يلي:

1_ ضرورة الاهتمام بمثل هذه الدراسات التأصيلية النظرية، وإتباعها بالدراسات التطبيقية المنبثقة عن هذه المفاهيم والمقاصد تحقيقًا للحاجة العلمية والدعوية.

2_ ضرورة الاهتمام أكثر بمحاولة ربط الحقائق العلمية بآيات القرآن الكريم، وإيجاد مختلف العلاقات والتقاطعات بين الكتاب المنظور والكتاب المسطور وتحديدها بدقة علمية وبكل موضوعية، وذلك من خلال إقامة ملتقيات علمية ومراكز بحثية متخصصة تجمع خيرة العقول لخدمة خيرة الكتب.

3_ الدعوة إلى المبادرة إلى الاكتشافات العلمية وتحديد سبق القرآن الكريم في إشاراته العلمية كي يتحقّق التفسير العلمي والإعجاز العلمي من عند المسلمين –قبل الغرب–، فيكون ذلك مدعاة إلى دخول غير المسلمين في الإسلام، وتكون دعوة علمية صامتة لكلّ الناس.

قائمة المصادر والمراجع

1- ابن جُزَي، التسهيل لعلوم التَّنْزيل، د.ط، د.م، د.ت.
2- ابن عاشور، محمد الطاهر، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكلام المجيد، د.ط، تونس: الدار التونسية، 1984م.

3- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، د.ط، لبنان: دار الفكر، 1979م.
4- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين محمد، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، د.ط، د.م، د.ت.
5- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط1، بيروت: دار صادر، د.ت.
6- أحمد أبو حجر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، د.ط، د.م، د.ت.
7- أنصاري، ظفر إسحاق، التفسير العلمي للقرآن، د.ط، د.م، د.ت.
8- الأهدل عبد الله، التفسير العلمي للقرآن، د.ط، د.م، د.ت.
9- بامياني، إرشاد الحق، محاضرات في إعجاز القرآن الكريم، ط1، ماليزيا: وحدة النشر بجامعة العلوم الإسلامية الماليزية، 2013م.
10- بريمة، محمد الحسن إبراهيم، رؤية القرآن للعالم ودلالتها على أولويات المشروع الإسلامي في السودان، سلسلة رسائل مجمع الفقه الإسلامي، ط1، السودان: شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، 2011م.
11- بليل، عبد الكريم، أسلمة المعرفة: إعادة صياغة المصطلح، مجلة المعيار، المجلد 15، العدد 29.
12- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.م، د.ت.
13- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.
14- الجميلي، السيد، الإعجاز العلمي في القرآن، ط2، بيروت: دار الوسام، 1992م.
15- حسنة، عمر عبيد، حتَّى يتحقَّق الشُّهود الحضاري، ط1، بيروت: المكتب الإسلامي، 1992م.
16- الحمد، غانم قدوري، محاضرات في علوم القرآن، ط1، عمان: دار عمار، 2003م.
17- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ط1، عمان: دار عمار، 2000م.
18- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، البيان في إعجاز القرآن، ط3، عمان: دار عمار، 1992م.
19- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط3، دمشق: دار القلم، 2008م.
20- خليل، عماد الدين، مدخل إلى إسلامية المعرفة، د.ط، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1990م.
21- الخولي، أمين، التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم، د.ط، د.م، د.ت.

22- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، د.ط، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1995م.

23- الرومي، فهد عبد الرحمن، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1999م.

24- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، د.ت.

25- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، د.ط، د.م، د.ت.

26- الزنداني، عبد المجيد تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د.ط، د.م، د.ت.

27- الزنداني، عبد المجيد، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د.ط، بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.

28- سليمان صالح، حمزة حسن، قضايا الإعجاز العلمي والتفسير العلمي للقرآن بين المجيزين والمانعين، مجلة الحركة، المجلد 21، العدد الأول، 2019م.

29- سليمان صالح، حمزة حسن، معالم المعرفة القرآنية والمعرفة العلمانية دراسة مقارنة، د.ط، د.م، د.ت.

30- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.

31- الشدي، عادل علي، التفسير العلمي للقرآن، جذوره، الموقف منه، مقال الكتروني، موقع مداد: https://quranpedia.net/book/14042

32- صافي، لؤي، في معنى المنهجية المعرفية، موقع الكاتب: http://arabic.lsinsight.org/articles/methodology.html

33- الصباغ، محمد لطفي لمحات من علوم القرآن لمحمد لطفي الصباغ، د.ط، د.م، د.ت.

34- الطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، ط2، الموصل: مكتبة العلوم والحكم، 1983م.

35- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م.

36- عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن الكريم، ط7، الأردن: دار النفائس، 2009م.

37- عبد الفتاح، حسن، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د.ط، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ت.

38- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، ط1، مؤسسة النشر الاسلامي، 1991م.

39- العلواني، طه جابر، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، ط1، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996م.
40- عيساوي، عبد الغني، الاتجاه العلمي بين التفسير والإعجاز مقاربة ضابطة للفروق والمقاصد، مجلة المعيار، المجلد 25، العدد 62، السنة: 2021م.
41- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، د.ط، د.م، د.ت.
42- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، جواهر القرآن، تحقيق: محمد رشيد رضا، ط2، بيروت: دار إحياء العلوم، 1986م.
43- الفاروقي، إسماعيل، إسلامية المعرفة-المبادئ العامة وخطة العمل، د.ط، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1987م.
44- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع في أحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964م.
45- الكفومي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1998م.
46- اللوح، عبد السلام حمدان، التفسير العلمي بين القبول والرد، عرض ودراسة، مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد الثاني، العدد الأول، 2005م.
47- المحتسب، عبد المجيد عبد السلام، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، د.ط، الأردن: منشورات مكتبة النهضة الإسلامية، 1982م.
48- محمد عمارة، إسلامية المعرفة، د.ط، بيروت: دار الشرق الأوسط، د.ت.
49- مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ط5، دمشق: دار القلم، 2013م.
50- المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط1، بيروت: دار الفكر، د.ت.
51- موريس بوكاي، الكتاب المقدس والقرآن والعلم:
Bucaille, Maurice.The Bible, the Qur'an and Science, Dar al: 'Ma- arif, Cairo. 1977.
52- النابلسي، محمد راتب، آيات الله في الإنسان، كتاب الكتروني على موقع مكتبة نور.
53- النجار، زغلول، السماء في القرآن، د.ط، د.م، د.ت.
54- النجار، زغلول، آيات الإعجاز العلمي في القرآن، د.ط، د.م، د.ت.
55- النجار، زغلول، مصادر المعرفة العلمية، د.ط، د.م، د.ت.
56- النجار، زغلول، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د.ط، د.م، د.ت.

57- الوعلان، عبد المجيد بن محمد، الآيات الكونية دراسة عقدية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، إشراف: عبد الكريم بن محمد الحميدي، 1433/1432هـ.